تمهيد.

يعتبر عبد الرحمن الثعاليبي من المفكرين الجزائريين الأكثر شهرة في الجزائر في العصر الوسيط، وهذا لإبداعاته في مجالات الفكر المختلفة كالأدب والفن والتصوف إضافة إلى تمكنّه في علوم اللغة والشريعة حتى لقّب بالشيخ الفقيه، كما يعود إليه الفضل في التأسيس للمرجعية الدينية للجزائر والمتمثّلة في المذهب المالكي، لكن: **ماهي أهم الأفكار المشكّلة لفكر الثعاليبي ؟؟**

1. سيرته الذاتية:

ولد الثعاليبي 786هـ، 1370م في مدينة يسر ولاية بومرداس حالياً من أسرة عريقة، هناك نشأ وترعرع حيث تلقى مختلف العلوم اللغوية والشرعية على يدّ علماء أفذاذ في كل من بجاية وتلمسان في الجزائر، كما ارتحل إلى تونس ونهل مختلف العلوم من علماء الزيتونة، كما سافر إلى مصر والشام والحجاز...وغيرها وكانت كل رحلاته سعياً إلى طلب العلم، وقد كان تلقيه للعلم بالمشافهة وأحياناً بالإجازة، فأجيز في الحديث في صحيح البخاري حتى أصبح محدّث الجزائر وتونس والمغرب العربي عموماً، وقد وضع فهرساً في علم الحديث سماه(غنية الواجد وبغية الطالب الماجد).[1]

يقول الثعاليبي متحدثا عن رحلاته في طلب العلم: " رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر في أواخر القرن الثامن فدخلت بجاية عام اثنين وثمانمائة فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع أصحاب الفقيه الزاهد الورع الوغليسي وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد ابن ادريس متوافرون يومئذ، أصحاب ورع ووقوف مع الحق لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم، وسلك مسلكهم كشيخنا الإمام عبد الحافظ أبي الحسن علي ابن عثمان المكلاتي، وشيخنا الولي الفقيه المحقّق أبي الربيع سليمان بن الحسن وأبي الحسن علي بن محمد البليليتي وعلي بن موسى والإمام العلامة أبي العباس النقاوسي، حضرت مجالسهم

[1]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي ج1** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط1، ص83.

وعمدتي على الأولين ثم دخلت تونس عام تسعة أوائل عشرة وأصحاب ابن عرفة متوافرون فأخذت عنهم كشيخنا واحد زمانه أبي مهدي عيسى الغبريني وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبي عبد الله البي وأبي القاسم البرزلي، ثم رحلت للمشرق وسمعت البخاري بمصر علي البلالي وكثيرا من اختصار الإحياء له، وحضرت مجالس شيوخ المالكية بها وحضرت كثيراً عند شيخ المحدثين بها ولي الدين العراقي، وأخذت عنه علوما جمة معظمها علم الحديث، وفتح لي فتحا عظيماً وأجازني، رجعت لتونس ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث إذا تكلمت انصتوا و أقبلو على ما أرويه تواضعا منهم وانصاتا واعترافا بالحق، وكان بعض فضلاء المغاربة يقول لي لما قدمت من المشرق كنت آية في علم الحديث..."[1]

يعتبر الثعاليبي مفكر وفيلسوف، مصلح ومربي وعالم جزائري شهير يلقّب بالمتصوف والمصلح، كان صوفيا زاهداً، كما مارس مهنة التدريس وآمن أن التربية الطريق الصحيح لبناء أجيال المستقبل، ينتهي نسبه إلى قبيلة الثعالبة وهي قبيلة عربية مهاجرة وطنت في الجزائر تنتهي إلى عرب بنو عامر جاءوا ووطنوا في سهل متيجة.

ومن مؤلفاته:

1- في التفسير: " الجواهر الحساب في تفسير القرآن الكريم."

2- في التراجم: " جامع الهمم في أخبار الأمم."

3- في الحديث : " غنية الواجد وبغية الطالب الماجد."

4- رياض الأنس في علم الدقائق وسير أهل الحقائق.

5- الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة.

6- شرح مختصر خليل بن إسحاق المالكي.

[1] – أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، دار الكاتب طرابلس، ط2، 1990، ص258.

7- حقائق في التصوف. [1]

توفي الثعاليبي سنة 875هـ 1479م، ونقل جثمانه إلى مرقده المعروف حالياً بباب الواد حيث كان يسمى حينها ب مقبرة الطلبة حيث دُفن جميع أبنائه ذكورا وإناثاً.

2. أهم أفكار الثعاليبي.

تنطلق المنظومة الفكرية للعلامة عبد الرحمن الثعاليبي من تكوينه كعالم وفقيه مجتهد وكإمام متصوف وكمصلح تفاعل مع واقعه محاولاً التغيير والإصلاح، ومن بين أفكار عبد الرحمن الثعاليبي نذكر:

1- يرى عبد الرحمن الثعاليبي أن الدين عامل أساسي منه ينطلق كل جهد نهضوي إصلاحي، فهو أساس كل تقدم وتطور منشود في المجتمع، إذ أن الأمة لا يمكن أن تحقّق السؤدد والرفاه إلا بالرجوع إلى دينها، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فهماً وامتثالاً، يقول الإمام مالك بن أنس: " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها."[2]

من هنا رفض الثعاليبي المعتقدات الفاسدة، فالدين الذي دعا إليه الثعاليبي الدين الوسطي لا غلو فيه ولا تحريف بالرغم من أنه كان أشعري العقيدة، منهجه صوفي، مالكي المذهب. فقد اعتبر من المؤسسين للمرجعية الدينية في الشمال الإفريقي ممثلاً في المذهب المالكي.

2- اهتمام الثعاليبي بالتربية والتعليم خاصة العلوم الشرعية واللغوية، مؤكدا على أن التربية الصحيحة طريق سالك لبلوغ التقدّم، من هنا اعتنى بالتعليم فكان مربياً ومعلّما تخرج على يديه الكثير من العلماء من بينهم الشيخ عيسى بن سلامة البسكري الذي قال فيه: " كان شيخنا الثعاليبي رجلا صالحا زاهدا عالما عارفا وليا من أكابر العلماء كما كان له تآليف جمّة..."[3]

---

[1]- عبد المجيد قسوم: **عبد الرحمن الثعاليبي والتصوف** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ط1، 1978، ص 143-144.

[2]- قول ينسب للإمام مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي.

[3]- مرجع سابق: أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، ص257.

وكذلك الشيخ محمد بن مرزوق الكفيف، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي.[1]

3- كان الثعاليبي متصوفا ومتكلماً داعياً إلى التمسّك بالدين وإقامة الشعائر لأنها الخلاص من عذاب يوم القيامة، وأن منهج العبادة عنده هو التصوف لكن تصوف الثعاليبي ليس التصوف الذي يُبعد الفرد عن الناس والدنيا، ولكن كان تصوفه قائما على الزهد والتربية وتزكية النفس والورع وليس الحبس والاعتزال.

4- كان الثعاليبي مجدداً مُحدّث عصره، وهو الذي دعا إلى التجديد في المفاهيم على اعتبار أن الحياة تتطور، وأن الشريعة تتماشى مع أحوال الناس وظروفهم فهي صالحة لكل زمان ومكان، من هنا فإن الاجتهاد ضروري، وقد كان أيضاً قوي الفكر والشخصية، يرى أبو القاسم سعد الله أن الثعاليبي أثّر بشكل كبير في ميدان الزهد والتصوف من خلال ثلاث طرق، أنه كان مدرسا ناجحا وعالماً واثقا من رسالته ومحدثا ومفسرا قوياً وصاحب شخصية جذابة، والثاني تآليفه المتنوعة، والثالثة عن طريق زاويته التي أصبحت ملتقى الطلاب.[2]

3. خصائص فكر الثعاليبي:

تميّز فكر عبد الرحمن الثعاليبي بالعديد من السمّات نذكر بعضها:

1- كان الثعاليبي نتاج زمانه وعصره عبقريا مدرسا ناجحاً، آمن بدور التربية والتعليم في بناء النشء فنقل علمه الذي كان يشتمل الجانبين النظري والعلمي وطبّقه على أرض الواقع، فلم يبق فقط في الكتب بل أنزله إلى الواقع، فقد كان فكره عملياً بامتياز.

2- كان محدّث ومفسّر ومجدّد بمعنى لم يكن فكره مثل بعض سابقيه، فكراً كلاسيكيا، بل حاول أن ينشر أفكاره فسعى إلى التجديد في الكثير من القضايا التي كانت مطروحة في عصره، وبهذا فإن فكر الثعاليبي فكر حداثي تجديدي.

---

[1]- محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ص 339 – 340.

[2]- مرجع سابق: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي ج1** ، ص84.

3- جمع عبد الرحمن الثعاليبي بين علوم المنقول وعلوم المعقول، أي علوم الدنيا وعلوم الآخرة، وهذا ما جعل فكره فكر متقدّم تجاوز زمانه كثيراً، فقد أبدع في عدّة مجالات عدّة كالفقه، الأدب، الفلسفة، الفن، علم الكلام...الخ، وهذا ماجعله فكراً موسوعياً.

الخاتمة.

انطلاقاً مما سبق نستنتج أن عبد الرحمن الثعاليبي مفكّر كفء ومقتدر تفاعل مع الواقع بالدراسة والفهم فقدّم الحلول في إطار نسق فكري متكامل جمع بين العقل والشرع، بين الدنيا والدين وفق منهج مؤسس يحقّق الغايات الإنسانية الكبرى.